إبطال الغلو الشنيع في الشيخ ربيع

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اتَّبع هداه،

أما بعد، فقد كتبت فيما مضى عدة كتابات في الدفاع عن شيخنا العلامة ربيع بن هادي المدخلي —حفظه الله-، مِمَّا لم يكتب عشره ولا نتفةً منه أدعياء الدفاع عن هذا العالم الرباني في هذه الفتنة العمياء، ممَّن يتمسحون به ويدَّعون نصرته، وهم كاذبون متلاعبون، وقد أضروه وأضروا الدعوة السلفية ضررًا عجز عنه أهل البدع الظاهرون!

ومن هذه الكتابات:

١. "دفع بغي الجائر الصائل على العلامة ربيع بن هادي والمنهج السلفي بالباطل".

٢. "وصل الثناء البديع العالي على إمام الجرح والتعديل العلامة ربيع بن هادي".

٣. "تلخيص جهود شيخنا ربيع السلفية في إبطال قواعد وأصول علي الحلبي البدعية".

٤. "براءة السلفية من مجالس الشورى السرية.. ويتضمن تأييد بيان شيخنا الوالد حسن بن عبدالوهّاب البنا في تبرئة شيخنا العلامة ربيع بن هادي من المجالس السرية".

هذا بخلاف المحاضرات التي ألقيتها في مواطن مختلفة في مصر وخارج مصر عبر عشرين سنة في دفع الافتراءات عن المنهج السلفي، وعن هذا العالم الربّاني، ومن آخر هذه المحاضرات ما ألقيته ضمن فعاليات الدورة العلمية المنعقدة في بلاد شنقيط (موريتانيا) في العاصمة نواكشوط من خلال شرحي على اختصاري لكتاب "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله عز وجل فيه الحكمة والعقل".

فأين كان هؤلاء الأدعياء لما كنا —وما زلنا- نتعرض للأذى من عدة جهات في داخل مصر وخارجها بسبب دفاعنا عن منهج شيخنا ربيع في التحذير من أهل البدع، والذي هو منهج أئمة الجرح والتعديل قديمًا وحديثًا، {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكزًا}؟!

والإجابة: خلال هذه السنوات كان بعض هؤلاء الأدعياء في أحضان القطبيين السروريين أو أبي الحسن أو علي حسن أو فالح الحربي ... وغيرهم من أهل الأهواء.

وآخرون لم يرفعوا قلَمًا ولا راية في نصرة هذا العالم الرباني الذي أوذي من أصناف أهل البدع جميعًا، ولم يكتبوا مقالاً ولا كلمة واحدة في صدِّ شبهات الطاعنين فيه، إنما هم شيوخ الفجأة في زمن الفتنة، يتزلفون فيها إلى هذا العالم تزلفًا أساء إليه وشوَّه الدعوة السلفية!

وبين عشية وضحاها صار شيوخ الفجأة هم الحماة لعرض هذا العالم الرباني رغم أنهم —في واقع الأمر وحقيقته لمن يعقل- في خلال عامين فقط أساءوا إليه إساءات عجز عن القيام بها عتاة المخاصمين للمنهج السلفي خلال سنوات!

وقد كتبت هذه الكتابات حسبة لله عز وجل؛ ذبًّا عن أحد أعلام المنهج السلفي، فلم أكتبها تعصُّبًا له ولا غلوًّا في شخصه.

وهذا الفصل: "إبطال الغلو الشنيع في العلامة ربيع" إنما هو امتداد لهذه الجهود السابقة في الذبِّ عن هذا العالم الربَّاني، بل إن كتاباتي في إحقاق الحق وإبطال الباطل في فتنة ما اشتُهر بفتنة "الصعافقة" إنما يدخل في هذا الإطار، لمن يعقل، أما المتعالمون أصحاب القلوب المريضة فلا يفقهون هذا، ولا تبلغه عقولهم!

لكني في هذا المقام أتعامل مع صنف جديد ماكر يدَّعي محبة الشيخ ربيع وهم ما بين كاذب في هذه المحبة ومغالٍ فيها متزلف!

وأقول: منذ سنوات بعد فتنة المأربي، في مجلس جمع الشيخ ربيع مع بعض المشايخ السلفيين في المدينة، وقد تكلَّم الشيخ ربيع كلمة فيها نصيحة عامَّة وذمَّ فيها الغلو، قال أحد المشايخ للشيخ ربيع: "يا شيخ ربيع نحن نعاني من الغلو فيك أنت!!".

فماذا كان ردّ فعل الشيخ ربيع؟ هل قال للمتحدث: أنت تطعن فيَّ! كما قد يكون ردّ فعل الغلاة، بل قال الشيخ –حفظه الله–: "اشهدوا....أنت اكتب ردًّا على الغلاة فيَّ وأنا أقرظه لك"، ثم التفت الشيخ إلى المشايخ وقال: "أي شخص يغلو في ربيع ردُّوا عليه.... هل باقي شيء عليَّ...؟!".

قلت: وعليه، واستجابة لرغبة الشيخ ربيع؛ اكتب هذا الردّ على الغلاة.

فمن تداعيات الفتنة القائمة صدور عبارات تحمل غلوًّا شنيعًا في العلامة ربيع بن هادي –حفظه الله–، مما لا يرضى عنه العلامة ربيع بن هادي نفسه لو بلغته، منها:

١. قول حفيظ أهواري المغربي: "الشيخ ربيع لا تخفى عليه أحوال الرجال، **فهو عالم الغيب وما تخفي الصدور**، ويميز الكاذب من الصادق رضي الله عنه، ومَن اعتقد غير ذلك فهو طاعن في الشيخ".

٢. قول أحدهم: "إن كان فركوس أعلم بواقع الجزائر، **فالشيخ ربيع أعلم بواقع العالم كلِّه**".

٣. قول أحمد أبي عُبَيدة الجزائري: "لا تحزن: كلُّهم عراة إلا مَن **ستره العلامة ربيع**".

٤. قول أبي عبدالله الهاشمي: "استمسك بالشيخ ربيع فإنه من كبار العلماء، **فوالله إنه من العروة الوثقى** التي أثنى الله على من استمسك بها، ودعك من بنيات الطريق".

٥. قول أبي البراء المغربي: "كلٌّ يؤخذ من قوله ويردُّ إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم، **وربيع السنة مع الحق** في الفتن؛ لأنه متَّبع لسنَّة خاتم الأنبياء والرسل!".

٦. قول أبي عبدالله سالم الخيتوني الليبي: "كلٌّ يؤخذ من قوله ويردُّ **إلا الشيخ ربيع**" –كذا على الإطلاق–.

٧. قول أحمد نادر: "كذبت وربّ الكعبة، كلُّ من أساء للشيخ ربيع المدخلي؛ **فهو خارج عن دين الله**، وعاصٍ لربِّ العالمين، وعدوٌّ للمسلمين".

٨. قول عبدالله خيري: "في هذه الفتن، **كن مع الربيع؛ كي لا تضيع**".

٩. قول محمد حسين: "خسارة أني نزَّلت المقال.. **اذهب للشيخ ربيع وتب إلى الله**".

١٠. مقالة محمد عليّان: "أشهدكم يا إخوة أنني مع الشيخ "ربيع بن هادي" حفظه الله في كلامه وتقريراته وأحكامه وتحذيره وبيانه، وأنني أقبل الأحكام الصادرة عنه سواء بالتبديع والتكفير وغير ذلك أو بالتحذير والتنفير... كلُّ ذلك أقبله **جملة وتفصيلاً وأقر بصحته سواء نظرت في أدلته أم لم أنظر سواء علمت وجه الكلام أم لم أعلم**.. ووالله لو حذَّرني من أبي وأمي وعيالي لقبلت منه، ولو تكلَّم عن شيوخي كلهم لقبلت منه.. ولا أقول ذلك الكلام عن هوى أو تعصُّب او ادعاء عصمة حاشا، وكلا بل أقول ذلك عن علم وبصيرة.. بل ذلك ما قرَّره العلماء وسار عليه العدول ورضيه من رضيه من أهل السنة.. وهذا ليس بجديد بل هو قولي منذ أن هداني الله للمنهج لم أغيره قديما ولن أغيره أبدًا إن شاء الله تعالى.. هذا قولي المجمل، ولسوف أنشر تفصيله فيما بعد إن شاء الله وقدر".. كتبه محمد عليان.

قلت: فهذه عشرة مقالات تنضح بالغلو الشنيع الذي يبرأ منه كلُّ سلفي صادق يحترم المنهج السلفي ويحترم علماءه.

فإن كان الشيخ ربيع بن هادي –كفاه الله شرَّ الغلاة– عالم الغيب وما تخفي الصدور، ويستر العراة، وأعلم بواقع العالم كلِّه !! فقد اتَّصف ببعض صفات الألوهية، وكلام هؤلاء تلمح عليه غلو الرافضة في أئمتهم، والصوفية في شيوخهم.

وإن كان الشيخ ربيع –كفاه الله شرَّ الغلاة–: من العروة الوثقى، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويردُّ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخ ربيع، ومن أساء إليه فهو خارج عن دين الله، وإذا أردت أن تتوب يجب أن تذهب عنده للتوبة إلى الله عز وجل، وإذا كان كلامه يُقبل جملة وتفصيلاً، ويُقرُّ له بالصحة سواء نظرت في أدلته أم لم تنظر، وسواء علمت وجه الكلام أم لم تعلمه!! فقد صار الشيخ ربيع في مقام النبي صلى الله عليه وسلم، وله حقوقه التي اختّص بها!

وقد قال الله عز وجل: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

قال البغوي في تفسيره (٣١٤/١): "أَيْ تَمَسَّكَ وَاعْتَصَمَ بِالْعَقْدِ الْوَثِيقِ الْمُحْكَمِ فِي الدِّينِ، وَالْوُثْقَى تَأْنِيثُ الْأَوْثَقِ وَقِيلَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى السَّبَبُ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى".

وأخرج البخاري (٣٨١٣) عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الخُشُوعِ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا، ثُمَّ خَرَجَ، وَتَبِعْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ المَسْجِدَ قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لاَ يَعْلَمُ، وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ: رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ - ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَخُضْرَتِهَا - وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَسْفَلُهُ فِي الأَرْضِ، وَأَعْلاَهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلاَهُ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: ارْقَ، قُلْتُ: لاَ أَسْتَطِيعُ، فَأَتَانِي مِنْصَفٌ، فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي، فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلاَهَا، فَأَخَذْتُ بِالعُرْوَةِ، فَقِيلَ لَهُ: اسْتَمْسِكْ فَاسْتَيْقَظْتُ، وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تِلْكَ الرَّوْضَةُ الإِسْلاَمُ، وَذَلِكَ العَمُودُ عَمُودُ الإِسْلاَمِ، وَتِلْكَ العُرْوَةُ عُرْوَةُ الوُثْقَى، فَأَنْتَ عَلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى تَمُوتَ».

قلت: فهل يقال في الشيخ ربيع –حفظه الله– إنه من العروة الوثقى التي تمسك بها عبدالله بن سلام؟!

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢٩٦/٧): "وَكَانَ مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ؛ الْعَمَلُ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ مِنْ الْعَمَلِ؛ وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ اسْمٌ يَجْمَعُ كَمَا يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَدْيَانَ اسْمُهَا وَيُصَدِّقُهُ الْعَمَلُ. فَمَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَعَرَفَ بِقَلْبِهِ وَصَدَّقَ بِعَمَلِهِ فَتِلْكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا".

وقال ابن قيم الجوزية:

وبالسنة الغرَّاءِ كن متمسكًا ... هي العروة الوثقى التي ليس تفصم

تمسك بها مسك البخيل بماله ... وعضَّ عليها بالنواجذ تسلم

قلت: فالعروة الوثقى هي الإيمان، وهي قول "لا إله إلا الله"، وهي الشريعة، والسنة النبوية.

فهل يقول عالم يحترم عقله: إن أحدًا من علماء الأمة هو من العروة الوثقى التي لا انفصام لها؟!

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ".

ثم يأتي هذا الغرُّ –الذي لا يدرك ما يخرج من فيه– فيقول: **كلُّهم عراة إلا مَن ستره العلامة ربيع!**

وقد يقول قائل: هؤلاء الذين نقلت عنهم مجاهيل، وقد يكونون مدسوسين للإساءة إلى الشيخ ربيع، والشيخ ربيع ليس مسئولاً عن غلوّهم!

فأقول: لا ريب الشيخ ربيع ليس مسئولاً عن غلوّهم؛ لأنه لم يبلغه كلامهم؛ كي ينكره، كما لم يبلغه كثير من حقائق القوم!

وأما هؤلاء المجاهيل، فهم الذين يصدرون البيانات والتويترات يوميًّا تقريبًا لإشعال نار الفتنة تحت سمع وبصر ومباركة العصابة التي تدّعي الدفاع عن الشيخ ربيع، والذين دافع عن بعضهم الشيخ ربيع ظنًّا منه –حفظه الله– أنهم ظُلِموا ويستحقون نصرته!

ونحن ننتظر من هؤلاء الأدعياء الإنكار الصادق لهذا الغلو؟!

فكيف إذا كانت هذه العصابة صدر عن بعض رموزها عبارات شبيهة بالعبارات السابقة أو قريبة منها في الغلو؛ وبه ندرك أن هؤلاء المجاهيل استقوا غلوهم من مشكاة هذه العصابة، وإليك عبارات بعضهم:

أولاً: قول فوّاز المدخلي: "جرح الإمام ربيع لأي أحد جرح لا يبرأ إلا بالتوبة".

بل لقد بلغ به الحمق أن يستهزئ بقول الله تعالى: {وأن إلى ربّك المنتهى}؛ غلوًّا في الشيخ ربيع؛ حيث قال فوّاز الجاهل –بعد أن نقل كلامًا يُنسب إلى شيخنا ربيع في الطعن فيَّ بسبب تحريش الفتّانين-: خالد عثمان انتهى، فردّ عليه أحد العقلاء: ليس إلى الشيخ ربيع المنتهى، بل إلى الله المنتهى!

ثانيًا: قول عرفات المحمدي: "إن العلامة ربيع بن هادي لم يخطئ أبدًا": وأقول لعرفات: أين ذهب نقدك لعبارات الغلوّ في حقّ الحجوري، أم أنك تكيل بمكيالَين؟!

ثالثًا: قول أبي مصعب مجدي حفالة الليبي: "من كان يدندن أن العالِم يُصيب ويخطئ؛ فهذا صاحب هوى"، يشير إلى الشيخ ربيع، وهذا تلويح بالعصمة.

رابعًا: قول زكريا بن شعيب: "إنه القرشي الهاشمي الدكتور ربيع بن هادي!".

خامسًا: قول علي الوصيفي في بيانه المنسوب إلى الشيخ حسن –والذي تبرّأ منه الشيخ حسن مؤخرًا-: "ولا يخفى أن هؤلاء المشايخ يثقون تمام الثقة في موقف العلامة الإمام الشيخ ربيع فانحازوا إليه لعلمه ومكانته وصحة اجتهاده، وصدق قضائه وعدالته في الانتصاف للمظلوم من الظالم وحسن قصده في إدارة الأمور –وهم ليسوا مقلدين في ذلك له، فقد حكم حكمًا بناءً على ما عرض عليه، وهم راضون بحكمه- وهذه قواعد ضرورية لا يستغنى عنها في معرفة الحق".

قلت: لا يجادل السلفيون في مكانة العلامة ربيع، ولا في علمه، ويثقون في أمانته وحرصه على الحق وجمع الكلمة، لكن هل يعني هذا أن اجتهاد العلامة ربيع وحكمه في قضية ما بناء على ما عُرض عليه يكون ملزمًا لغيره من أهل العلم وطلبته بغير بيان ولا دليل؟

وهل يقال: إن الثقة في اجتهاد عالم ما –مهما بلغت مكانته- والرضا بحكمه يعتبر **قاعدة ضرورية** لا يُستغنى عنها في معرفة الحق؟! أم أن هذا القول يعتبر غلوًّا شنيعًا لا يرضاه أهل الحق المعتدلون، بل لا نشك أن العلامة ربيع بن هادي نفسه لا يرضى هذا الغلوَّ، ولا يقبل أن يقال عنه ولا عن غيره هذا الكلام الذي تشمُّ منه رائحة التصوف، وذلك في علاقة المريد بشيخه.

ومن مظاهر غلوِّ هذه الطائفة أن أحدهم قد يسارع بالتراجع والتوبة من أخطائه لو هُدِّد بالشيخ ربيع أنه سوف يتكلم فيه، بل يهدِّدون غيرهم –ممن أبى أن يكون سيقة لهم– بالشيخ ربيع، يقولون له –تصريحًا أو تلميحًا–: إن لم تفعل ما نأمرك به، سوف نجعل الشيخ ربيع بن هادي يتكلم فيك!

وعبارات هؤلاء الغلاة تذكِّرني ببعض عبارات غلاة الصوفية في شيوخهم!!

قال العلامة صالح الفوزان في شرحه على رسالة الإمام محمد بن عبدالوهّاب –رحمه الله– في "تفسير كلمة التوحيد" (ص١٧): "الصوفية يسمون العابد: "الشيخ"، يعني شيخ الطريقة الذين يأخذون عنه دينهم، والذي يأخذ عن شيخ الطريقة يسمّونه المريد، ويكون مع شيخه كالميت بين يدي الغاسل، ليس له أن يعترض بشيء".

وقال: "هم يسمُّون شيخهم السيد، ويسمُّونه: الشيخ، فلا بد أن تبايعه وتسلّم له أمرك، فلا تعترض ولا تخالف في شيء، وإلا فلا تكون مريدًا معه".

قلت: فلذلك يحقُّ لي أن أسمِّي هؤلاء الغلاة: "صوفية الصعافقة!!!".

قال فضيلة الشيخ الوالد حسن بن عبد الوهاب البنا –حفظه الله تعالى– في مقدِّمته على كتابي "التعصُّب للشيوخ: عواطف مشوبة بالأهواء" (١/٣٧/الإبرازة الثانية) : "فقد يسَّر الله لي أن أطلعَ على هذا الكتاب «التعصُّب للشيوخ»، وأن أقرأه قراءة كاملة، وقد ألفيته كتابًا عظيم الفائدة؛ لمعالجته لآفةٍ تُعتبر من أخطر الآفات التي تؤدِّي إلى تَفرُّق الأمَّة إلى شيع وأحزاب.

فإن التعصُّب للشيخ والتحزب حوله؛ لهو أثر من آثار التصوف، والذي هو ربيب الرفض، والذي يَجعل الشيخ مُحجِّمًا لحركات وأفكار وعقيدة الْمُريد؛ أمَّا أهل السُّنَّة فإنَّ لهم صبغة خاصة؛ ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]. فهم وإن احترموا الشيوخ الذين تعلَّموا على أيديهم، وتأدبوا معهم بآداب طالب العلم؛ فهذا لا يقتضي أن يتعصَّبوا لهم بغير حق.

لَكِنْ مَكْمَنُ الْخُطورة: أنه أثناء تحصيل الطلاَّب العلم على يد الشيخ؛ يُخلص لهم الشيخ، ويُخلصونَ له؛ فيَحدث بينهم تآلف قلبي، وربما يتعلق به البعض إلى درجة يتجاوزون بها القواعد الشرعيَّة بين الشيخ وطُلَّاب العلم؛ فتتحول هذه العلاقة إلى مذهبية حزبيَّة".

وقال أيضًا: "والتقليد هو أحد آثار التعصب الذميم والله تعالى يقول: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ**}، وأولوا الأمر هم العلماء والأمراء ، والطاعة لأولي الأمر مقيدة بالمعروف ، فليست الطاعة في

المعروف التقليد المنهي عنه شرعًا، والذي هو قبول قول الغير بدون حجة بل هي طاعة مقيدة بالحجج من الكتاب والسنة".اهـ

لذلك أقول وأؤكد: إن فتنة الصعافقة هي فتنة المقلِّدين المتعصِّبين؛ فمن أخطر طرائقهم أنهم يؤصِّلون لتقليد الشيخين ربيع وعُبَيْد بأساليب مختلفة، منها بثُّ هذا الغلو.

واعلم كذلك أن إطلاق هؤلاء الغلاة هذه العبارات في حقِّ الشيخ ربيع إنما كان بعدما أيقنوا أن مكرهم بالشيخ –حفظه الله– قد تمَّ، وقد أمِنوا جانبه، وصار ناصرًا لهم، فكان يجب ترسيخ أمر تعظيم اجتهاداته وأنه لا يتطرق إليها الخطأ؛ كي يأسروا مَن استطاعوا في ربقة تبعيتهم، ويظلُّ هؤلاء في هذه الرّبقة بعد موت الشيخ ربيع –حفظه الله–.

وفي واقع الأمر هم لا يعنيهم بقاء هيبة الشيخ ربيع ولا ثقة الناس فيه إلا من باب الأخذ بقوله في الدفاع عنهم فقط مع إسقاط الأفاضل الذين كشفوا مكرهم، وإذا ظهرت حقيقة مكرهم للشيخ ربيع وصار ضدهم، فسوف ينقلبون عليه بين عشية وضحاها، ولن يحفظوا له كرامة ولا عهدًا ولا ودًّا؛ فهم قوم بهت، كفانا الله شرَّهم!

لذلك أذكِّر القارئ الفطن ببعض عبارات القوم، لما كان الشيخ ربيع يخالفهم في بعض مكرهم:

كان عبد الواحد المدخلي يقول: العلامة ربيع –حفظه الله– صار كثير النسيان.

وعرفات يقول: الشيخ ربيع بشر لا يعلم الغيب.

ونزار هاشم يقول :الشيخ ربيع قد يلبِّس عليه الملبس.

لكن لما تغيَّرت الأحوال صارت هذه العبارات طعنًا في الشيخ ربيع!! واستبدلوها بعبارات الغلو؛ تبعًا للهدف المطلوب، فالأمر ليس دينًا عند هؤلاء، إنما هي مصالح وأهواء!

هذا، وقد كنت نقلت بعض عبارات هؤلاء الغلاة في رسالة "مودة وتوضيح حقائق" المرسلة إلى فضيلة الشيخ الوالد حسن بن عبدالوهّاب البنا –حفظه الله ومتَّعه بالعافية–، ثم قلت معقِّبًا:

"لذلك صدق الشيخ عبدالرحمن محيي الدين في وصفه لهؤلاء الغلاة بقوله: "**إنهم يعبدون ربيعًا!**".

إن الشيخ ربيع بن هادي قد حارب هذا الغلو طول عمره، فكيف نغلو نحن فيه؟!

وفضيلتكم تعلم مدى حبي وتقديري لشيخنا العلامة ربيع بن هادي، وتعلمون أني أكثر من دافعت عنه في مصر، لكن لا يعني هذا أن أتابعه في الخطأ أو أن أغلوا فيه!".

فاستل عرفات وأسعد الزعتري من هذا الموطن النقل الذي نقلته عن الشيخ عبدالرحمن في وصفه لهؤلاء الغلاة بقوله: "**إنهم يعبدون ربيعًا!**"، **وقالا: خالد عثمان يكفِّر السلفيين.**

قلت: وهذه الدعوى يعتريها أمرين:

الأول: تدليسهما وافتراءهما وعدم أمانتهما في النقد العلمي!

والثاني: جهلهما بمعنى العبادة في العبارة المذكورة.

- **أما بيان الأمر الأول:**

فأقول: إن مقولة: "إنهم يعبدون ربيعًا"، إنما جاءت في سياق نقد الغلاة الذين نقدنا كلامهم أعلاه، والعجيب أن عرفات قد وضع رابط صورة الفقرة التي تثبت هذا، لكنه لا يستحي من التدليس والافتراء، كأنه يخاطب الصمَّ البكم العمي، أو يخاطب مجانين لا يعقلون أو أنه يوجِّه كلامه للمتعصِّبة الذين يسوقهم كالنعاج خلفه، فهم لا يفتشون خلفه؛ لأنهم يثقون فيه ثقة عمياء، ولا يدركون أنه خائن لا يؤمَن.

وكلُّ عاقل منصف يقرأ كلامي يفهم أن هذه العبارة إنما تخصُّ هؤلاء الغلاة، ولا تتنزل على عموم السلفيين، إلا أن يعتبر عرفات والزعتري أن هؤلاء الغلاة هم السلفيون عندهما دون غيرهم، وهذا ليس بعيدًا، لأنهما من رءوس المحرّكين لهؤلاء الغلاة؛ ولأنهما يسلكان مسلك الحدَّادية في نفي السلفية عن كلّ مَن يخالف جهلهما وغلوّهما.

فهذا يُظهر لك –أيها الفطن– بجلاء مدى الأمانة العلمية عند هذه الطائفة التي تتمسح بالعلماء، وإنما هم يتسترون بالعلماء، فدخلوا سوق النقد العلمي بغير رأس مال من العلم الصحيح والأمانة العلمية، فصدق من قال عليهم: "صعافقة!".

وكما قال الشاعر:

زمان رأينا فيه كلَّ العجائب وأصبحت الأنذال فوق الذوائبِ

لو أن على الأفلاك ما في قلوبنا تهافَتَت الأفلاكُ من كلِّ جانبِ

كما في أحاسن المحاسن (ص٢٤٧) لأبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي.

ومن مكرهما أنهما أعرضَا عن الحقائق الأخرى المذكورة في طيَّات الرسالة، والتي منها: إنكار المجالس السرية، وسجن عبدالواحد، والصعافقة الخائنون وتدخلهم المفسد في شئون ليبيا في الدعوة والقتال؛ وكأنها لا تخصُّهم، وكأن أيديهما ليست متلوثة بهذه الجرائم!

ومن هنا نعلم مَن الذي ينطبق عليه **قول عرفات**: "فالحاقد المريض الذي يتظاهر بالسلفية إذا انتكس، وصار يطعن في علماء السنة يكون أشد حربًا على أهل السنة وأكثر فجورًا في الخصومة، وأولّ ما يعض تجده يعض اليد من أحسنت إليه".

قلت: كأن عرفات يتحدث عن نفسه وأصحابه!

وهذا دأب القوم أنهم في حالة العجز عن مقارعة الحجج والبينات يلجؤون إلى رمي الأبرياء بأدوائهم عن طريق السبِّ والشتم والوقيعة التي هي حيلة العاجز وبضاعة المفلس، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما مجموع الفتاوى (١٨٦/٤): "الشتيمة والوقيعة والتهجم عند النقاش حيلة العاجز وبضاعة المفلس؛ فإن الردَّ بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد".

لذلك ما قاله عرفات في حقِّ الحجوري وأصحابه، فإنه كما ينطبق عليهم، فهو ينطبق عليه وعلى أصحابه، حيث قال: "ثم إنَّ هذا الحجوري من عجائب الدنيا! فهو فاحش القول سليط اللسان مع أهل السنة يبطش بعلماء المنهج السلفي ويحقِّر من شأنهم -هو وأتباعه-، وهو من يقرر قواعد وأصول أهل البدع". (مقال: "حَمْلُ (المعتقد الباطل) على المعتقد الصحيح عند الحجوري" على موقع عرفات).

- **وأما الأمر الثاني:**

وهي اعتبارهما مقولة: "إنهم يعبدون ربيعًا" تكفيرًا لمن أُطلقت عليه، فهذا من عظيم جهلهما الذي يضاف إلى قائمة جهل هذه الطائفة بأبسط مسائل المعتقد التي يدركها الطالب المبتدئ الذي درس كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهَّاب -رحمه الله-، فقد بوَّب -رحمه الله- في كتاب التوحيد، قال:

باب: "من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا"، وأورد تحته حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ».

وذكر في المسألة الثالثة تحت هذا الباب: "تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة"، ثم قال الشيخ عبدالله الدويش في "التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد" (١٩٦/١) مقرًّا له: "لقوله: "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم إلخ".

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهّاب -رحمه الله- في "قرة عيون الموحدين في دعوة الأنبياء والمرسلين" (ص٤٣٢): "قوله: "تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم": **سمَّاه عبدًا له، لكونه هو المقصود بعمله فصار عبدًا له؛ لأنه عبده بذلك العمل**".

وقال في "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" (٢٥١/١): "**فكل من توجه بقصده لغير الله فقد جعله شريكا له في عبوديته كما هو حال الأكثر**".

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهّاب -رحمه الله- في "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" (ص٥٤٠): "فإن قيل: لمَ سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم؟

قيل: لما كان ذلك هو مقصوده ومطلوبه الذي عمل له، وسعى في تحصيله بكل ممكن حتى صارت نيته مقصورة عليه يغضب ويرضى له صار عبدًا له".

وقال الشيخ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان –رحمه الله– في "الدُّر النَّضيد على أبواب التوحيد" (ص٣٠٠): "وهكذا حال من كان متعلّقًا برياسة أو بصورة أو نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، **فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له إذ الرّق والعبودية في الحقيقة رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده**".

وقال الشيخ فيصل آل مبارك في "القصد السديد على كتاب التوحيد" (ص١٧٥): "قوله "تعس عبد الدينار" هذا دعاء عليه بالهلاك، **سماه عبدًا له لكونه هو المقصود بعمله**".

وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– كما في "القول المفيد" (ص٤٦٠): "وسماه عبد الدينار؛ **لأنه تعلق به تعلق العبد بالربّ**، فكان أكبر همه، وقدمه على طاعة ربه، ويقال في عبد الدرهم ما قيل في عبد الدينار، والدرهم هو النقد من الفضة، وزنة الدرهم الإسلامي سبعة أعشار المثقال؛ فكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل".

وقال الشيخ أحمد النجمي –رحمه الله– كما في "الشرح الموجز الممهد" (ص٢٣٩): "عبد الدينار عبد الدرهم هو الذي يتوقف رضاه على إعطائه الدينار، والدرهم، وسخطه على عدم ذلك، وهذه منقصة تدل على أن الدنيا، إنما هي معبر، وليست بدار إقامة، ووسيلة وليست غاية".

وقال الشيخ صالح الفوزان في "إعانة المستفيد" (١/١٠١): "وهذا هو الشاهد من الحديث: **أنه سمّاه عبدًا لهذه الأشياء مع أنه مسلم مؤمن، ولكن لَمّا كان يعمل ويريد هذه الأشياء صار عبدًا لها، وهذه عبودية شرك، لكنه شركٌ أصغر لا يُخرجه من الإيمان، ولكنه ينقِّص توحيده وينقِّص إيمانه**".

وقال معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ في "التمهيد لشرح كتاب التوحيد" (ص٣٧٩): "وقد سماه النبي عليه الصلاة والسلام عابدًا للدينار، فدلَّ ذلك على أنه من الشرك؛ لأن العبودية درجات، **منها: عبودية الشرك الأصغر**، ومنها عبودية الشرك الأكبر، فالذي يشرك بغير الله – جل وعلا – الشرك الأكبر هو عابد له، كأهل الأوثان، وعبدة الأصنام، وعبدة الصليب، وكذلك من يعمل الشرك الأصغر، ويتعلق قلبه بشيء من الدنيا فهو عابد، لذلك يقال: عبد هذا الشيء؛ لأنه هو الذي حرك همته، ومعلوم أن العبد مطيع لسيده، أينما وجهه توجه، فهذا الذي حركته همته للدنيا وللدينار وللدرهم عبد لها؛ لأن همته معلقة بتلك الأشياء، وإذا وجد لها سبيلاً تحرك إليها بدون النظر هل يوافق أمر الله – جل وعلا – أم لا يوافق أمر الله – جل وعلا – وشرعه؟!".

قلت: هكذا تواطأ شرّاح كتاب التوحيد على أن العبودية في الحديث هي من الشرك الأصغر، بل لقد سمى الإمام محمد بن عبدالوهّاب هذا العابد مسلمًا، فقال: "تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة".

وهذا الفهم السديد هو الذي بيّنه بتفصيل شيخ الإسلام -رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى (١٠/١٨٠): "وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ تَعِسَ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ". **فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الدِّرْهَمِ وَعَبْدَ الدِّينَارِ وَعَبْدَ الْقَطِيفَةِ وَعَبْدَ الْخَمِيصَةِ**. وَذَكَرَ مَا فِيهِ دُعَاءٌ وَخَبَرٌ وَهُوَ قَوْلُهُ: {تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ} وَالنَّقْشُ إخْرَاجُ الشَّوْكَةِ مِنْ الرِّجْلِ وَالْمِنْقَاشُ مَا يُخْرَجُ بِهِ الشَّوْكَةُ وَهَذِهِ حَالُ مَنْ إذَا أَصَابَهُ شَرٌّ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ وَلَمْ يُفْلِحْ لِكَوْنِهِ تَعِسَ وَانْتَكَسَ فَلَا نَالَ الْمَطْلُوبَ وَلَا خَلَصَ مِنْ الْمَكْرُوهِ وَهَذِهِ حَالُ مَنْ عَبَدَ الْمَالَ وَقَدْ وُصِفَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ {إذَا أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِذَا مُنِعَ سَخِطَ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} فَرِضَاهُمْ لِغَيْرِ اللَّهِ وَسَخَطُهُمْ لِغَيْرِ اللَّهِ وَهَكَذَا حَالُ مَنْ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِرِئَاسَةِ أَوْ بِصُورَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَهْوَاءِ نَفْسِهِ إنْ حَصَلَ لَهُ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ سَخِطَ فَهَذَا عَبْدُ مَا يَهْوَاهُ مِنْ ذَلِكَ، **وَهُوَ رَقِيقٌ لَهُ إذْ الرِّقُّ وَالْعُبُودِيَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ رِقُّ الْقَلْبِ وَعُبُودِيَّتُهُ فَمَا اسْتَرَقَّ الْقَلْبَ وَاسْتَعْبَدَهُ فَهُوَ عَبْدُهُ**. وَلِهَذَا يُقَالُ: الْعَبْدُ حُرٌّ مَا قَنِعَ وَالْحُرُّ عَبْدٌ مَا طَمِعَ، وَقَالَ الْقَائِلُ:

أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي ... وَلَوْ أَنِّي قَنَعْتُ لَكُنْت حُرًّا".

وقال أيضًا -رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى (٧/٧٢): "وَأَمَّا إنْ قَلَّدَ شَخْصًا دُونَ نَظِيرِهِ بِمُجَرَّدِ هَوَاهُ وَنَصَرَهُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ أَنَّ مَعَهُ الْحَقَّ؛ فَهَذَا مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَإِنْ كَانَ مَتْبُوعُهُ مُصِيبًا؛ لَمْ يَكُنْ عَمَلُهُ صَالِحًا. وَإِنْ كَانَ مَتْبُوعُهُ مُخْطِئًا؛ كَانَ آثِمًا. كَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ؛ فَإِنْ أَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ وَإِنْ أَخْطَأَ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ. وَهَؤُلَاءِ مَنْ جِنْسِ مَانِعِ الزَّكَاةِ الَّذِي تَقَدَّمَ فِيهِ الْوَعِيدُ وَمِنْ جِنْسِ عَبْدِ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمَّا أَحَبَّ الْمَالَ حُبًّا مَنَعَهُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ صَارَ عَبْدًا لَهُ. **وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ؛ فَيَكُونُ فِيهِ شِرْكٌ أَصْغَرُ وَلَهُمْ مِنْ الْوَعِيدِ بِحَسَبِ ذَلِكَ**. وَفِي الْحَدِيثِ: {إنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ} . وَهَذَا مَبْسُوطٌ عِنْدَ النُّصُوصِ الَّتِي فِيهَا إطْلَاقُ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ الذُّنُوبِ".**اهـ**

قلت: سبحان الله! كأن شيخ الإسلام يردُّ على هؤلاء الغلاة والجهلة المقلّدة الذين ابتلينا فيهم في هذه الفتنة، وكأنه يصف حال هؤلاء الغلاة وصفًا دقيقًا!

فتأمل كيف جعل شيخ الإسلام المقلّد المتعصّب لشيخه المتّبع لهواه مِنْ جِنْسِ عَبْدِ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، وقال -باللفظ الصريح-: " صَارَ عَبْدًا لَهُ"، ثم بيّن -باللفظ الصريح أيضًا- أن هؤلاء جميعًا وقعوا في شرك أصغر، فهل يقال إن شيخ الإسلام يكفّر كلّ هؤلاء.

والشاهد من هذه التأصيل العلمي -الذي لا يفقهه أمثال عرفات والزعتري- أن إطلاق لفظ العبودية على المخلوق لا يلزم منه الحكم على هذا العابد بالكفر الأكبر أو الشرك الأكبر، إنما يُطلَق هذا أيضًا على مَن وقع في نوع من أنواع التعلُّق القلبي الشركي، الذي هو من الشرك الخفي الذي هو شرك أصغر.
وهذا الذي يفهمه أي عالم فقيه يقرأ هذه العبارة: "إنهم يعبدون ربيعًا" في سياق نقد هؤلاء الغلاة، أي أن هؤلاء لغلوهم الشنيع في العلامة ربيع وقعوا في نوع تعلُّق قلبي به -والذي هو من الشرك الأصغر- مما جعلهم يتفوَّهون بهذه العبارات، فتدبر!

وقد جاء عن أشهب أنه أجاب في مسألة من حلف بعتق أمته أن لا يفعل كذا فولدت بعد اليمين وقبل الحنث: لا يُعتقون معها، قيل له: إن مالكًا قال: يعتقون معها قال: "**وإن قاله مالك فلسنا له بمماليك**"، قال ابن رشد: هذا نفيٌ منه للتّقليد، كما في "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" (ص٤٤٢).

قلت: فيقال لعرفات والزعتري:
هل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفِّر مَن قال فيهم: "تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم ..."؟!
والإجابة: إن هذا الفهم هو فهم الخوارج الذين يكفِّرون بالكبائر!
لذلك أنا لا أدري: كيف حصل عرفات والزعتري على شهادة "العالمية" -والتي يقال عنها: "دكتوراة"- وهما بهذه المثابة من الجهل، والضحالة في العلم؟! لكنه الهوى الذي يعمي ويصمُّ!!
وقد جمع هؤلاء مع ضحالة العلم: سيء الأخلاق من الكذب والتشبع بما لم يعطوا والمكر السيء!

وما أحسن ما رواه البيهقي عن الشافعي كما في «مناقب الشافعي» (١٥١/١)[1]، حيث قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي الحسن قال: سمعت محمد بن علي الحافظ [2] يقول: سمعت أبا بكر بن زياد[3] يقول: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول: العلم جهل عند أهل الجهل، كما أن الجهل جهل عند أهل العلم، ثم أنشأ يقول:

ومنزلة الفقيه من السفيه ... كمنزلة السفيه من الفقيه

([1]) ورواه أيضًا بالإسناد نفسه في المدخل (٦٢٠)، وهو إسناد صحيح.
([2]) هو القفال الشاشي الكبير، كما في السير (٢٨٣/١٦).
([3]) هو عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري، إمام الشافعية في عصره بالعراق. وانظر: تاريخ بغداد (١٢٠/١٠)، والسير للذهبي (٦٥/١٥).

فهذا زاهدٌ في قُربِ هذا وَهذا فيه أزهد منه فيه

وأقول: اعلم –رحمك الله– أن أهل الحق لم ينصروا الشيخ ربيعًا سابقًا في معاركه العلمية ضد المخالفين نصرة لذاته وشخصه، إنما نصروه لما يدعو إليه من الحق، أما هؤلاء الأدعياء إنما ينتصرون للشيخ ربيع تزلفًا إليه، أو خوفًا منه، أو حرصًا على تزكية مبنية على تحملهم للشيخ بغير ما فيهم؛ حيث يظهرون بوجهين.

وإن من أسوأ آثار فتنة الصعافقة ترسيخ التقليد والتبعية العمياء للمشايخ الأفاضل ربيع بن هادي، وحسن بن عبدالوهّاب، وعبيد الجابري –حفظ الله الجميع–، وحصر الأمر فيهم، وأنهم هم الأكابر فقط، مع الغلو فيهم والمكر بهم.. وإنزال كلامهم منزلة الوحي المعصوم، مع إسقاط الحجج والبراهين الساطعة التي يأتي بها غيرهم تحت دعوى أنها لو كانت حقًّا لقالوا بها، فجعلوا اعتماد هؤلاء العلماء الأجلاء لأدلة الكتاب والسنة الواضحة هي التي ترفعها إلى مرتبة الحجاج، وهم بهذا المكر السيء وافقوا المقلدة المذهبيين، والحزبيين المتعصبين، مع سلوكهم مسلك الحدادية في إسقاط كلّ مَن يخالفهم، ولو كان من أفضل العلماء، وبالتالي إسقاط الاحتجاج بالأدلة التي يأتي بها!

فهم يريدون من أفاضل العلماء وطلبة العلم أن يكونوا جميعًا إمّعة!

قال الطبراني في "المعجم الكبير" (١٥٢/٩) حدّثنا محمد بن النضر الأزدي، ثنا معاوية بن عمرو، ثنا زائدة، عن الأعمش، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: «لا يقلدنَّ أحدكم دينه رجلًا؛ فإنْ آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنْ كنتم لا بد مقتدين فاقتدوا بالميِّت؛ فإنَّ الحي لا يؤمن عليه الفتنة»[٤].

قال أبو عبيد في «الغريب المصنَّف» (٤٩/٤–٥٠): «في حديث عبد الله: لا يكونَّن أحدكم إمَّعةً. قيل: وما الإمعة؟ قال: الذي يقول: أنا مع الناس.

(أمع) قال أبو عبيد: لم يكره عبد الله من هذا الكينونة مع الجماعة، ولكن أصل الإمعة: هو الرجل الذي لا رَأْيَ له ولا عَزْمَ؛ فهو يتابع كلَّ أحد على رأيه، ولا يَثْبُتُ على شيءٍ، وكذلك «الرجل الإِمَّرَةَ» هو: الذي يوافق كل إنسان على ما يريد من أمره كلِّه. ويروى عن عبد الله أنه قال: كنا نعد «الإمعة» في الجاهلية الذي يتَّبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى، وإن «الإمعة» فيكم اليوم الْمُحْقِب الناس دينه. والمعنى الأول يرجع إلى هذا»[٥].

---

(٤) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٣٤/١)، واللالكائي (١٣٠)، وإسناده صحيح.

(٥) وفي المدخل إلى السنن (٣٧٩): «قال أبو عُبَيْد:... والمحقب الناس دينه: الذي يتَّبع هذا وهذا».

وقال أبو محمَّد بن حزم في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» (٤/١٨٥)، تعليقًا على هذا الأثر: «جوامع الحق: اتِّباع القرآن، وفيه اتباع بيان الرسول، وأخذ الحقِّ ممَّن أتى به، وإن كان لا خير فيه، وممن يَجب بغضه وإبعاده، **وأن لا يقلِّد خطأً فاضلٍ، وإن كان محبوبًا واجبًا تعظيمه**».

وصدق العلَّامة المحدِّث مقبل بن هادي –رحمه الله– حينما في كتابه «إقامة البرهان على ضلال عبد الرحيم الطحان» (ص ١٠): «فأهل العلم يتوجعون من هذه التعصُّبات من زمنٍ قديم، حتى قال نشوان الحميري متوجعًا من أهل عصره، ومن تقليدهم الهادي المقبور بصَعْدة:

إذا جادلت بالقرآن خصمي	أجاب مجادلاً بقول يحيى

فقلت كلام ربك عنه وحي	أتجعل قول يحيى عنه وحيًا

فالتعصُّب منبوذ...» – إلى أن قال –: «وربُّ العزة يقول في كتابه الكريم: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢]، ونحن لا نتكلم في الأئمة بل نتكلم في التعصُّب الأعمى» **اهـ**.

قلت: وقد صدق أبو نعيم حينما قال في «الحلية» (٩/١١): «قاتل الله التعصُّب، ما أشنع إخساره!».

وإن من أخطر تداعيات فتنة الصعافقة ومن دقيق مكرهم الخفي: أن يظهر العلماء عامّة بمظهر الاضطراب والتناقض والتناحر؛ وهذا هدف رئيسي عند المحرك لتنظيم الصعافقة، وبعد ذلك تسلّم قيادة الدعوة للجهلة والمرتزقة من هؤلاء الصعافقة، تحت دعوى أنهم هم أتباع العلماء! هكذا ظنُّوا لكن الله لهم بالمرصاد.

وصدق الشيخ عبدالسلام بن برجس –رحمه الله– إذ قال: "فأهل السُنّة مهما اندسَّ بينهم مندّس، ومهما تزيّا بزيِّهم ماكر

وقال ابن الأثير في النهاية (١/٤١٢): «وحديث أبي أمامة: أنه أحقب زاده خلفه على راحلته؛ أي جعله وراءه حقيبة».

(س) ومنه حديث ابن مسعود: «الإمعة فيكم اليوم المحقب الناس دينه»، وفي رواية: «الذي يُحقِب دينه الرجال»؛ أراد الذي يقلِّد دينه لكلِّ أحد؛ أي: يجعل دينه تابعًا لدين غيره، بلا حجَّة ولا برهان ولا رويَّة، وهو من الإرداف على الحقيبة»، ونقله ابن منظور في لسان العرب (٣/٢٥٤– ط: دار إحياء التراث العربي).

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٦/١٢٣): «والمراد هنا: من يكون مع ما يوافق هواه ويلائم أرب نفسه وما يتمنَّاه، وقيل: المراد هنا الذي يقول: أنا مع الناس كما يكونون معي؛ إنْ خيراً فخير، وإن شرًّا فشر». وقال أبو يوسف الفسوي: قال أهل العلم: الإمعة أهل الرأي.

فإنّ الله سوف يهتك ستره، ويفضح أمره".

ورغم هذا فما زلت —والله– أرجو توبة هؤلاء ومراجعتهم للحق؛ فإن الرجوع إلى الحقّ خير من التمادي في الباطل.

وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم

وكتب
أبو عبدالأعلى خالد بن محمد بن عثمان
الإثنين الخامس من ذي القَعدة ١٤٤٠ هـ
القاهرة – مصر